المقدمة

إنَّ الْحَمْد للهَّ نَحْمَدُه وَنَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِرَه، وَنَعُوذ بِاللهَّ تَعَالَى من شُرُور أَنْفُسَنَا وَمن سَيِّئَات أَعْمَالِنَا، من يَهْدِه اللهّ فَلا مُضِلّ لَه، وَمَن يُضْلِل فَلا هَادِي لَه وَأَشْهَد أَن لا إِلَه إِلا اللهّ وَحْدَه لا شَريك لَه، وَأَشْهَد أَنّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

إنَّ أصدقَ الحديث كَلامُ اللهّ، وَخَيْرَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكلّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكلّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٍ، وَكلّ ضَلالَةٍ في النَّار.

(إنّ اللهّ تَعَالَى اختص النبي مُحَمدًا بن عبد اللهّ الْهَاشِمِيّ الْقُرَشِيّ بالرسالة في آخر الأمم وأرسله بِالْهُدَي وَدِيْن الْحَق لِيُظْهِرَه علي الدِّيْن كُلّه، وأرسله رَحْمَةً لِلْعَالَمِين وَمَحَجَّة للسالكين وَحُجَّة على الْعِبَاد أجمعين، أرسله على حِين فَتْرَةٍ من الرُّسُل، فهدى بِهِ الناس إلى أقوم الطَّرُقِ وأوضح السُّبُل، وافترض على الْعِبَاد طَاعَتَه، وتعظيمه، وَتَوْقِيرَه، وتبجيله، وَالْقِيَام بحقوقه، وَسَدّ إليه جَمِيع الطُّرُق فَلَم يَفْتَح لأحدٍ إلا من طَرِيقِهِ، فَشَرَح لَه صَدْرَه وَرَفَع لَه ذِكرَهُ، وَوَضَع عَنْه وزرهُ، وَجَعَل الذل وَالصَّغَار على من خَالَف أمره.

هَدَى بِهِ من الضَّلالَة وَعَلَّم به من الْجَهَالَة وبصّرَ به من العمى، وأرشد به من الْغَيّ وَفَتَح بَه أعينًا عميًا، وأذانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا، فَلَم يَزَل ﷺ قَائِمًا بأمر اللهّ لا يَرُدهُ عَنْه رَادّ،

ولا يصده صاد، دَاعِيًا إلى اللهّ بإذنه إلى أن أشرقت بِرِسَالَتِه الأرض بَعَد ظلماتها، وتألفت بهِ الْقُلُوب بَعَد شتاتها، وَسَارت دَعَوْتُهُ مَسِير الشَّمْسِ في الأقطارِ، وَبَلَغَ دِينَهُ ما بَلَغ اللَّيْل وَالنَّهَار، فَلَمَّا أكمل اللهّ بهِ الدِّين، وأتم بهِ النعمة على عِبَادِه المُؤْمِنِين استأثر بهِ ونقله إلى الرَّفِيق الأعلى من كَرَامتِهِ، وَالْمحلِّ الأرفعِ الأسنى في أعلى جناته، ففارق الأمة وَقَد تَرَكَهَا على المحجة الْبَيْضَاء لا يَزِيغُ عَنْهَا إلا من كَان من الهالكين[١].

ومِن نِعم اللهّ عَزّ وَجَل على هَذِه الأمة أن هَيَّأ لَهَا بَعَد نَبيها ﷺ رِجَالًا يَتَحَمَّلُون أعباء الدَّعْوَة ونَشَر الإسلام في أرجاء المعمورة من العُلَمَاء الأتقياء والدعاة المصلحين، وَقَد وَعَدهُم الله عَزّ وَجَل فَوْزًا عَظِيمًا، وَأعَد لَهم بِمَا يَعْمَلُون في الآخرة نَعِيمًا مُقِيمًا، وما زال العُلَمَاء يَتَعَاقَبُون ويتوارثون الْعَلَم إلى يَوْم الْقِيَامَة، وَلَن تَخْلُو الأرض من قَائِم للهَّ بِحُجَّةٍ، وَكَذَلِك لَن تَخْلُو من رِجَالٍ مُخْلِصِين للهَّ وداعين إليه لِقَوْلِه ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[٢].

وَقَال ﷺ: «**لا يَزَال اللهّ يَغْرِس في هذا الدين غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُم فِيه بِطَاعَتِه إلى يَوْم الْقِيَامَة**»[٣].

وَلا شَكّ أنّ العلماءَ هُم وَرَثَة الأنبياء كَمَا جَاء في الْخَبَر عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدرداء فِي مَسْجِدِ دِمَشْق، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدرداء، إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ، قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَّكَ اللهُّ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالْحِيتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا**

(١) بتصرف من (مفتاح دَار السَّعَادَة ١/ ١٠٤_١٠٥).
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) صحيح، أخرجه ابن ماجه (٨)، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٤٤٢).

وَلا دِرْهَمًا وإنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[١].

فَهُم حَمَلَة الدين وَالْعلم الَّذِي أتى به الرَّسُول ﷺ؛ لأنه ﷺ لَم يُورِّث دِرْهَمًا وَلا دِينَارًا، وإنما وَرّث الْعلم.

وَالْعُلَمَاءُ هُم المبلغون لهَذَا الدين الْعَظِيم من بَعْده ﷺ.

قال ابن الْقَيِّم رَحِمَه اللهّ في كِتَابه الْقَيِّم «مِفْتَاح دَار السَّعَادَة» (١/ ٢٦١): «فإنّ الأنبياء خَيْر خَلَق اللهّ فورثتهم خَيْر الْخَلَق بَعْدَهم، وَلَمَا كَان كُل مورث يَنْتَقِل مِيرَاثَه إلى وَرَثَتِهِ إذ هُم الَّذِين يَقُومُون مَقَامه من بَعْدِهِ، وَلَم يَكُن بَعَد الرُّسُل من يَقُوم مَقَامَهُم في تَبْلِيغ ما أرسلوا بهِ إلا العلماء، كَانُوا أحق النَّاس بميراثهم، وَفِي هذا تنبيه على أنهم أقرب النَّاس إليهم، فإنّ الْمِيرَاث إنما يَكُون لأقرب النَّاس إلى المورث، وَهَذَا كَمَا ثَبَت في مِيرَاث الدِّينَار وَالدِّرْهَم فَكَذَلِك هَو في مِيرَاث النُّبُوَّة، وَاللهَّ يَخْتَصّ بِرَحْمَتِه من يَشَاء.

وَقَد مَدَح الله تَعَالَى أهل الْعَلَم في كِتَابه وَأَثْنَى عَلَيْهِم فَقَال تَعَالَى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة:١١].

وَقَال تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر:٢٨].

وَقَال تَعَالَى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر:٩].

وروى الترمذي في سننه (٢٩٠١) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ الله ﷺ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَّ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[٢].

فهنيئًا لمن وَرثَه اللهّ مِيرَاث الأنبياء ووفقه لِطَلَب الْعِلَم وَسَهَّل له طَرِيق العلماء

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٥٧)، وصحّحه الألباني.

(٢) قَالَ الترمذي: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.
وقال الشيخ الألباني: صحيح، انظر حديث رقم (٤٢١٣) في صحيح الجامع.

الأتقياء، وهنيئًا لمن أراد اللهّ له الْخَيْر فرزقه الْفِقْه في الدِّيْن، قال رَسُول الله ﷺ: «**من يُرد اللهّ به خَيْرًا يُفَقِّهه في الدين**»(١).

والأخبار في ذكر سير العلماء ومناقبهم وفضائلهم لا تُحْصَى وَلا تَعُد، وَقَد صنفت في تراجمهم المصنفات، وجلدت فيها المجلدات، ومُلِئَت بِهَا المكتبات، وَثَقُلَت مِنها الرفوف فكل مُؤْلف أو مصنفٍ يدلو بدلوه ويفيض من علمه، أما هذه الرسالة فَهِي مُحَاوَلَةٌ مني وهي جُهْد المقلّ في جَمْع وترتيب صفحات من حَيَاة هذا الإمام جَمَعْتُهَا من بُطُون الْكُتُب ورتبتها عَلَى قَدْر علمي، فَكُلُّها أراء وأقوال موثقة من كتب السير والتراجم، وهي مُحَاوَلَةٌ لمعرفة حَيَاة أبي محمد سليمان بن مهران الملقب بالأعمش ودوره في خدمة العلم،فتكونت عِنْدِي هَذِه الصفحات أثمرت هذه الرسالة الصغيرة المتواضعة إحياء لسيرة هذا الإمام الذي أحيا الله به السنة، وتعميمًا للفائدة.

فإذا مر بك يا أخي ما لا يعجبك فلا تصعِّر خدك، ولا تعرض بوجهك ولا تسل لسَانَكَ، ولا تجلب بخيلك وَرَجِلك، وخذ من المائدة ما يعجبك؛ وخذ بقول القائل:

اعْمَلْ بعلمِي وغُضَّ الطَّرْفَ عَنْ زلَلِي ... يَنفَعْكَ قَوْلِي ولا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

ولا يصدنك عن الحكمة قائلها؛ فقد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير الرامي، وربَّ حامل فقه إلى من هو أَفْقَهُ منه.

والله أسال أنْ يَتَقَبَّل عَمَلِي وَيَغْفِر لِي زللي وخطأي، وأن يوفقني لما يرضيه ويعينني على ما شرعت فيه، إنه الميسر لكلِّ عسيرٍ، وهو على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أبو معاوية

مدينة زايد العامرة

(١) أخرجه الْبُخَارِي (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حَدِيث معاوية بن أبي سَفْيَان رَضِي الله عنهما.

obeikandl.com